دفاتر البحوث العلمية، المجلد 9، العدد 1، السنة 2021، الصفحة 819-835

بنية الزمن في الرواية السعودية (شرق المتوسط) لعبد الرحمان منيف أنموذجا

The structure of the narrative time in the Saudi novel Eastern Mediterranean) by Abdul Rahman Munif as a Model

عموري السعيد [1*]

[1] المركز الجامعي مرسلي عبد الله بتيبازة، الجزائر، said_amo@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/27، تاريخ القبول: 2021/05/20، تاريخ النشر: 2021/06/08

ملخص: تعتبر الرواية العربية الحديثة التي تندرج تحت مسمى الرواية الأطروحة أو رواية السجون التي كان رائدها ، الروائي عبد الرحمان منيف، من النصوص السردية التي شغلت الدرس النقدي المهتم بقضايا السرد بصفة عامة: قضايا الايديولوجيات والواقع والخيال وغيرها من اهتمامات النقد المعاصر، بيد أن الرواية المهتمة بتصوير الصراع بين المثقف والسلطة، لها نمط تجريبي خاص، ولها خصوصية سردية تنحو منحى الاستشراف لصور سردية جديدة تفيد من الأجناس الأدبية الأخرى، وفي رواية شرق المتوسط للروائي عبد الرحمان منيف نركز على بنية الزمن السردي في الرواية السعودية، في تعالقه بالزمن النفسي والفلسفي ، وهي رؤية نريد من خلالها انفتاح التشكيل البنيوي لتقنيات الزمن من حركات التواتر والترتيب إلى تعالقها بالازمنة النفسية والفلسفية لنصل إلى صياغة عامة يكون فيها الزمن السردي فاعلا في تصوير الحدث، وتصوير الانفعال وأيديولوجيا الكتابة. وفيه حاولنا الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف تعامل الروائي عبد الرحمان منيف مع بنية الزمن في روايته؟، هل كانت بنية الزمن في النص بنية دالة أم توظيفا جماليا؟ نهدف في هذه الدراسة إلى تبيان تقنيات السرد الروائي من خلال التعامل مع بنية الزمن السردي، وفي النتائج توصلنا إلى أن الروائي تعامل مع الزمن تعاملا دالا، أضاف للمعنى قوة تأثير.

الكلمات المفتاح : شرق المتوسط، بنية دالة، زمن السرد، مفارقات الزمن.

Abstract: The research in this article focuses on the structure of narrative time in the Saudi novel through the novel (Eastern Mediterranean), The problem we focused on is: Was the structure of time in the text an indicative structure or aesthetic employment? We assumed that the structure of time in the text is a function structure In the results, we concluded that the novelist dealt with time in a significant way, adding to the meaning an effect force.

Keywords: knowledge management; Administrative performance; Governmental institutions

1- تمهيد :

يعتبر الزمن عنصرا أساسيا في العمل الروائي، إذ لا يمكننا تصور العملية السردية دونه ، من حيث تسليطه الضوء على الحياة والأحداث التي تعيشها الشخصية داخل النص، فالزمن يتنوع بتنوع حالتها، و رواية (شرق المتوسط) للروائي السعودي عبد الرحمان منيف، رؤية نقدية لفترة تاريخية، امتزج فيها الواقع بالخيال تقف على رسم صورة صراع المثقف مع السلطة في البلاد العربية، من خلال شخصية اختارها الكاتب تحت مسمى (رجب إسماعيل)، التي تعاني أزمات نفسية ورؤى مختلفة لما يحيط بها، مما دفعها للبحث عن منافذ أخرى للتعبير عن الذات، الذات الضحية للسياسي المثقف التي تنبش في خبايا روحها تحت وطأة الزمن داخل سراديب السجن، زمن تركه منيف مفتوحا و الذي رصد في ظله قضايا الإنسان العربي المعاصر، محللا الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية التي يعيشها، وبهذا فقد كان لتوظيف الزمن عنده رؤية خاصة. من هذا المنطلق تعتبر" شرق المتوسط" من النصوص الرائدة في تسليط الضوء على مثل هذه القضايا المتعلقة بجدلية المثقف والسلطة، ونحن عبر هذه الورقة البحثية نسعى للبحث عن دلالة الزمن فيها، والذي هو بالدرجة الأولى زمن نفسي تجلى من خلال حالة السجين رجب النفسية، والذي ينحو بنا كلما تعمقنا في قراءة الرواية نحو زمن أكثر عمقا، زمن فلسفي يرصد سطوة الأنظمة القمعية. وهي الأزمنة التي لم تكن التقنيات البنائية المتعلقة بالزمن السردي إلا صورا دالة، لما تعرفه الدلالات المفتوحة عن معاني الزمن النفسي والفلسفي والأدبي.

و من هنا طرحنا الإشكالية الآتية :

- كيف تعامل عبد الرحمان منيف مع تقنيات السرد ممثلة في بنية الزمن؟ •
- هل كانت بنيات الزمن في حركتيها التواتر والترتيب، فعلا منفصلا عن الدلالة أم تعالقا ضروريا لتأثيث السرد؟

وفقا لذلك حاولنا تتبع بنيات الزمن السردي في الرواية، وتطبيق عناصر الحركة الزمنية في شرق المتوسط، رؤية بنيوية، لنخلص إلى مجموعة نتائج تتعلق بالتقنيات البنيوية، وبما احتوته الرواية من إمكانات منفتحة على القراءة البنيوية، لأننا وجدنا تعالقا ضروريا بين الزمن السردي والانفتاح المكاني والذهني من خلال الذاكرة .طرحنا في منهجيتنا مجموعة عناصر لم يكن الغرض منها تقديم المجال المفهومي للزمن السردي، بقدر ما كان اختيارا منهجيا، يفيدنا في تحديد حركتي التواتر وترتيب الأحداث في روايتنا شرق المتوسط .استفدنا من مجموعة مراجع عن بنية الزمن السردي، كان من أهمها: بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، بنية السرد الروائي، لحميد لحميداني، غير أننا ركزنا على مناوشة النص لاستكناه الرؤى فيه.

1- بنية الزمن في النص الروائي:

1.1 - الزمن السردي:

لا ينفصل مفهوم الزمن ودراسته في الرواية عن دراسة باقي العناصر المشكلة للنص، ويُعتبر العنصر البؤري الذي تقصُر أدوات الإجراء النقدي عن التحديد النهائي لماهيته والاتفاق على معناه، إلاّ ما كان تشخيصا له على حدود العمل الأدبي، فالزمن "يتخلل الرواية كلها، ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية، فهو الهيكل الذي تشيّد فوقه الرواية"[i] **(سيزا قاسم، 1984، ص 74).**

وعن معنى الزمن الروائي وصلته بالزمن الفلكي أو الفلسفي أو النفسي، وغيره من الأزمنة التي حاول المنظرون تثبيت مفهومها في مساحة تتضح عندها ملامحه النظرية والمصطلحية.

نحاول هنا تسليط الضوء على بؤرة تقاطع الزمن الأدبي مع الزمن النفسي والفلسفي ذلك أن الأفكار الفلسفية" تتمثل في الأدب حية نابضة، معبرة عما يشغل الفكر الإنساني في سبيل معرفة مصائره في هذه الحياة "[ii]**(غنيمي هلال، ص "14)** ومنه الانطلاق من نظرة الفلاسفة للزمن الأدبي من خلال نظرية المحاكاة، حيث يكون الإلهام تذكّر لصورة ما قبل الخلق أي عالم الأرواح، والأثر الفني والأدبي يعجز عن محاكاة الحقيقة الكلية، ويمثل لحظة زمنية باهتة، فالمحاكاة عند أفلاطون " انطلاق من لحظة الحاضر ومن أسر الواقع إلى الماضي عبر الذاكرة، لتذكر المعرفة الصافية الموجودة في عالم المثل" [iii]**(صالح ولعة، 2002)** وهذا الترابط بين الأثر الفني وبين حقيقته في عالم المثل وهذا الاتجاه من الحاضر إلى الماضي في سيلان مستمر عبر الذاكرة التي يجعلها علماء النفس " السلاح الوحيد الذي يجعل للماضي امتدادا في الحاضر "(صالح ولعة، 2002) ويمثل نقطة التقاء بين الزمن الفلسفي والزمن الأدبي، من حيث إن الزمن كمعطى وجداني يقترن تماما بحياة النص الشعورية، ويغدو الزمن أوثق اتصالا بالنفس البشرية وأكثر تلازما من البحث عن وجود الإنسان وعن مصيره وحدوده في هده الحياة، الأمر الذي حدا بكتاب الرواية إلى التركيز عليه كعامل ذا دلالات كبيرة في تتبع صيرورة الشخصية وتفاعلها مع معطيات الحياة المتغيرة ولأنه أيضا لا يمكن أن يكون إلا ذا دلالة وأبعاد في الرواية كنص أدبي مفتوح على القراءة بالضرورة.

وفي تعامل الروائيين مع الزمن السردي لم يكن من الواجب أن يتطابق تتابع الأحداث وتواليها مع الترتيب الطبيعي الذي قد يخضع لمبدأ السببية أو التوقيت، لذلك كان انطلاق الشكلانيين من التفريق بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، من الأسس الأولى في دراسة الزمن في السرد، فالأول " لا بد له من زمن ومنطق ينظم الأحداث التي يتضمنها، أما الثاني فلا يأبه لتلك القرائن الزمنية والمنطقية قد اهتمامه بكيفية عرض الأحداث وتقديمها للقارئ تبعا للنظام الذي ظهرت به في العمل "[iv]**(حسن بحراوي، 1990،ص 107)**، ومن هنا تمكن النقاد من تمييز زمنين، زمن القصة الذي يخضع للتتابع المنطقي للأحداث، وزمن السرد الذي لا يتقيد بالتتابع، والروائي يلغي ترتيب الأحداث وتسلسلها، فيقوم بعرضها بطريقته الخاصة، التي تختلف تماما عن طريقة عرضها في

الحكاية، فينتج عن ذلك تكسير للمسار الخطي للأحداث، ويتصل ذلك بحركتين أساسيتين للزمن الروائي، تهتم إحداها بالترتيب للمتواليات السردية، والأخرى بالتواتر لسير الأحداث من حيث سرعتها أو بطئها.

2.1- النسق الزمني ودلالته في شرق المتوسط:

أ- عبد الرحمان منيف وشرق المتوسط الرواية:

عبد الرحمن منيف (1933-2004) أديب سعودي، أنهى دراسته الثانوية في العاصمة الأردنية، ثم التحق بكلية ***ببغداد*** عام 1952، وبعد عامين من انتقاله إلى العراق طرد مع عدد كبير من الطلاب عام 1955، بعد توقيع (حلف بغداد)، واصل دراسته في جامعة القاهرة، ومن ثم الدراسات العليا في بلغراد عام 1958، وحصل على الدكتوراه في اقتصاديات النفط عام 1961، عمل بعدها في سورية في نفس المجال من عام 1973،ا نتقل منيف ليقيم في بيروت حيث عمل في الصحافة اللبنانية، بدأ الكتابة الروائية بعمله الشهير " الأشجار واغتيال مرزوق" عام 1973، أقام في العراق وتولى رئاسة تحرير مجلة (النفط والتنمية) حتى عام 1981، وقد غادرها في العام نفسه إلى فرنسا متفرغا للكتابة الروائية، عاد بعدها إلى دمشق حيث أقام فيها حتى وفاته يوم 25 جانفي 2004. صدر لعبد الرحمن منيف عدد من الروايات "الأشجار واغتيال مرزوق" عام 1973، " شرق المتوسط" 1975، "حين تركنا الجسر"1979، و"سباق المسافات الطويلة" 1997، " عالم بلا خرائط"بالاشتراك مع جبرا ابراهيم جبرا عام 1982، خماسية "مدن الملح"، "التيه" 1984، "الأخدود" 1985، "تقاسيم الليل والنهار" 1989، "المنبت" 1989، "بادية الظلمات" 1989، كتب أيضا "الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى"1991، " لوعة الغياب" 1998، "أرض السواد" 1999، كما صدر له مؤلفات أخرى في الأدب والاقتصاد والسياسة، حاز على جائزة السلطان بن علي لعويس الثقافية للرواية عام 1989، وجائزة القاهرة للإبداع الروائي1998 . تقدم رواية شرق المتوسط صورة عن حياة التعذيب المبرمجة داخل سجون السلطة في شرق المتوسط الفضاء الجغرافي والسياسي، من خلال الشخصية الأساسية في الرواية (رجب اسماعيل) الشاب المثقف الذي حكم عليه بأحد عشر عاما قضى منها خمس سنوات، ذاق فيها من طقوس التعذيب أبشعها وأفضعها، بدء من الرفس والضرب واللدغ بالكهرباء، وغيرها مما سردته الرواية، وانعكس ذلك على تفكيره الدائم بقدرته على الصمود، فكان أكثر ما يخشاه أن يزداد إحساسه بالألم أكثر من إحساسه بصموده الداخلي، ولكن الأهم في الأمر أنه وقّع وثيقة الأعتراف، أو الوثيقة التي تعمتدها المؤسسة السلطوية لمنح الحرية المشروطة التي لاشيء بعدها سوى الإعدام، وذلك لأن رجبا لم يعد قادرا على الصود ليس من جهة جسده بل من جهة تخاذل أخته أنيسة (الشخصية الرئيسية الثانية)، وهو تخاذل اضطراري لأن ايدي القمع وصلت لعائلة رجب، ولعله

السبب الرئيس الذي به وقع وثيقة الاعتراف لإنقاذ العائلة من البطش الذي طالهم بسبب مواقفه السياسية وصراعه مع السلطة وهو المثقف الوطني النموذج.ُلق سراح رجب اسماعيل ويمُنح الحرية التي لم يعد يحس لها طعما بعدما اخذها بوثيقة الاعتراف، فقد تخلت عنه حبيبته هدى، وماتت أمه التي كانت تمده بالصمود والتحدي، وتدفعه للتماسك، ماتت جراء ضربة على صدرها من أحد السجانين حينما شاركت في تظاهرة مع أمهات السجناء أمام أبواب السجن، لم تكن تريد له الاعتراف وامضاء الوثيقة، بل كانت ترى أنها وصمة عار في جبينه إذا اعترف، كانت ترى أن السجن أيامهمعدودة، أما الذل فلا ينته ابدا. خرج رجب من الزنزانة الضيقة إلى زنزانة تضيق معها الآفاق، خروج يحمل معه رائحة الهزيمة والسقوط وصوت العذاب الداخلي، واحتقار الذات حتى بدت زخارف الدنيا بألوان باهتة، سوداء، فتنقله الباخرة ذات الاسم الرمزي (اشيلوس) إلى خارج البلاد فرنسا بحجة العلاج، من روماتزم الدم، وعلى متن الباخرة يبدأ بالحوار الداخلي ومناجاة الذات والسفينة في رحلة شاقةنفسية لسرد تفاصيل التعذيب في سجون شرق المتوسط، وفي باريس يخضع لاختبار جسدي متمثلا في الجنس فيتذرع أمام المرأة العارية بالتعب والمرض، ولكن كلمته الوحيدة (انا لست رجلا) التي تلجلج بها لسانه وضاق بها صدره فلم يعد يطيق كتمها، كلمة قوية تبين التعذيب النفسي في اقذر صوره. و في فرنسا شرع رجب يدون مذكراته، محاولا – بعد صراع نفسي مرير-الاغتسال من عقدة الذنب، والتطهر من الشعور بالإثم والخطيئة والخيانة، مستندا إلى وثائق وحقائق- وهو رمز المثقف المضطهد –تعري القمع الوحشي وتفضحه، ليقدمها إلى الصليب الأحمر في جنيف رغم تحذيراتهم وتهديداتهم له قبل إطلاق سراحه. تصل أخبار رجب إلى سجانيه، يبدؤون بمضايقة صهره حامد زوج أنيسة، ويهددونه بالسجن إذا لم يعد رجب من فرنسا وحين يعلم رجب بذلك، يقرر العودة الخطرة لأنه صار يراها فرصة لا تعوض، ليفك قيد عذاب الذات، ينهض متحديا تخاذله من جديد ماسحا وصمة العار التي تلاحقه. أصبح جسد رجب – بعد قراره هذا –شيئا لا يؤبه له، من أجل هذا لم يعد يعره الاهتمام الأول، صار رجب صامدا أمام كل أشكال التعذيب، متماسكا مستهزئا بجلاديه ، مستعينا بروحه" عدت كما أريد لا كما تريدون، سأعطيكم جسدي، أما إرادتي فقد تعلمت في رحلة الظلمة، كيف أجدها مرة أخرى، خذوا أيها الجلادون.. خذوا جسدا لم يبق فيه إلا الإرادة.. سيكون صمتي الرد الذي يقطع أحشاءكم.

رجع رجب إلى بلاده، وأرجعته السلطة إلى سجنها، واشتدت حفلات التعذيب كما يسميها الجلادون، عندما تبين لهن هذا غير رجب ذاك، برغم انهياره، فالجسد لم يعد إلا معبرا ضمن معابر أخرى إلى الروح ولم يعد الأساس فيها، أُسقط عندها في أيديهم وأعلنوا إفلاسهم وألقوه عند عتبة بيت أنيسة فاقدا بصره، يعدّ لحظاته الأخيرة للرحيل، شديد الهزال والشحوب، ثقيلة أنفاسه جراء العذاب، وانقطع عن الطعام والكلام، لينتهي به المسار في

اليوم الرابع من خروجه عند الظهر تماما مات رجب, لقد مات رجب متطهرا بصموده من وصمة العار والسقوط، وتندم أنيسة وتتألم لأنها اعتقدت أنها التي استقدمته" ولكن من قتله غيري؟ لو ظل رجب هناك لما امتدت إليه أيديهم"لمات رجب وزُجّ بحامد في السجن، وتستشعر أنيسة بوجوب التطهر من الذنب، فاعمل على فضح السلطة وتنخرط مع حامد وابنها عادل في طريق النضال، طريق رجب الذي علمها أن تدفع الأمور إلى نهايتها رغم القمع والتعذيب" كما قلت لكم أنا امرأة خاطئة... وأريد أن أتبع طريقة رجب ذاتها. أن أدفع الأمور إلى نهايتها.. لعل شيئا بعد ذلك يقع"

ب- فعل التعذيب وامتداداته النفسية والزمنية:

حاولت رواية (شرق المتوسط) أن تحقق اتجاها فنيا معتمدا على السجن، كحدث تناولي كثيف الدلالات، له ارتباطاته الزمانية والمكانية بإنسان شرق المتوسط، أو العربي بعامة، من خلال معاناة التعذيب والقمع، وامتداداته النفسية الغارقة في زمنية تاريخية، تعكس وجوه هذه الآفة المتحولة، من المكان ذي الأصفاد المغلقة إلى هاجس يخترق الذاكرة، فتلتقطه العين من كل زوايا وفضاءات الوطن العربي، ويرسم هذا البناء الأصفر "البناء الأصفر الذي يربض فوق صدور البشر، مثل حيوان خرافي"[٧] **(عبد الرحمان منيف،1999، ص203)**.إنّ انغلاق الفضاء المكاني في السجن، يفتح نخربا للذاكرة لا نهاية له، ويجر آلام (رجب) إلى ماض سحيق، وتفاصيل لم يكن يتوقع أن تحتفظ بها ذاكرته لولا انغلاق المكان في قيود السجن، كما أن هذا الانغلاق بقدر ما فتح نخروبا للذاكرة في ذهن رجب، بقدر ما كان انغلاقا ذهنيا يلاحق رجب حتى بعد خروجه منه، قد صار استشرافا للظلام حتى خارج حدود السجن المنغلقة، فكانت الأحداث تحقق هذه الفرضية حينما عاد رجب إلى السجن بإرادته، من أجل إنقاذ عائلته.وكما أنّ انغلاق الفضاء المكاني في الزنزانة، وتحولها إلى هاجس ذهني، يؤكد انفتاح الذاكرة على أفعال الحلم (الحلم بالكتابة عن التعذيب، الحلم بكتابة رواية بالاشتراك مع أنيسة وحامد وعادل، الحلم بهدم سجون شرق المتوسط). وعلى مستوى أفعال الواقع أيضا(رجوع رجب إلى السجن)، حيث مات الشعور بنشرها وعمل الحلم على رفعها إلى مستوى أفعاله، فتساوت من الناحية الدلالية أفعال الحلم وأفعال الواقع، بعد قرار رجب العودة إلى شرق المتوسط، وهنا يظهر فعل التداعي والمونولوج، لرسم مساحة كبيرة تتسع فيها الذاكرة وتهيمن على مساحة السرد.

2 - حركة ترتيب وتواتر الأحداث في (شرق المتوسط):

إذا اعتبرنا " شرق المتوسط" لوحة فنية تعرض صورة الموت، برسم ظلال تجريدية للسجن، كحالة تخترق المكان والزمان لتؤجج زوايا الذاكرة ، وتختزل ملامح الحياة في نقطة سوداء، تحمل دلالات الموت وعلاماته الكثيرة، وإذا اعتبرنا تمفصلات التشكيل الزمني وتقنياته، العاملة في خطية زمن الخطاب المفارق لزمن القص

أدوات رسم اللوحة، فإن لكل منها وظيفة تحما خاصية الاستقلالية الوظيفية من جهة، وتعمل في النسق العام لتشكيل دلالة الرؤية الإيديولوجية للرواية من جهة أخرى. ندرس الدلالة الزمنية في الرواية من خلال دراسة حركتي الترتيب والتواتر كشكلين تتنظهر من خلالهما علاقة السرد بالزمن، ويحددان الاختيار الذي تبنته الرواية واعتمدت عليه في تشكيل الرؤية الإيديولوجية. إن التركيز على آداء الذاكرة في عرض المتواليات السردية وتساوي الأفعال يغرق رجبا في زمن نفسي لا تطاله إمكانات الحساب الرياضي والتقدير الفلكي، ويحل الائتلاف بين الأحاسيس في منطقه الخاص محل التعاقب، وهو ما أسماه برغسون ب (المدة) أي إنها ذلك الزمن الذي يتناول الأحاسيس بحيث تختلط الأزمنة وتغيب ملامحها وذلك ما يعكس استراتيجية الايقاع الزمني في رواية شرق المتوسط.

إنه من خلال التداخل والتكسير لخطية زمن السرد، والذي كان صورة من خاصية اللاترتيب في زمن الذاكرة المسيطر على حركة السرد، نستدل على اختلال معنى الزمن في حياة الشخصية الاساسية رجب وأخته أنيسة، اللذان يمثلان نمطية الإنسان العربي حيث لا تخضع الذاكرة لمنطق التعاقب الطبيعي، لا، الترابط بين الأحداث ضمن الذاكرة , إن الأمر يتعلق بوضعية نفسية للمثقف تجاه السلطة القمعية، انه اختلال الانسان العربي القابع في ظلمات الخوف والقهر، والمنكفئ على نفسه يجتر أحلام العيش الكريم من بقايا الحلم الجميل، فاقدا وعيه بالزمان، وهو ما يعكس فعلا اختلال معنى الزمن في الوطن العربي من خلال النص الروائي في شرق المتوسط التي تستدعي حضورا قويا للزمن الاجتماعي، أين تغرق الجماعة في حلم أبدي بتحقيق العدالة والحرية، فتختلط بذلك سير منظومتها الاجتماعية والفكرية وبالتالي تعرج في منحدرات الجهل وتفلت من ديمومة التاريخ. إن الذاكرة في تعاملها مع الزمن، تمثل سمة من سمات جريان الزمان في شرق المتوسط، ذلك أنها - في تفاصيل العرض- تحدد تمفصلات زمنية صغيرة (تاريخ تحول رجب السجن، تاريخ الخروج، تاريخ السفر، مدة الاقامة في باريس....) وهي تمفصلات تمثل وجها من وجوه التاريخ، تاريخ المغامرة السردية، ولكن تغيب وجوه أخرى للتمفصل الزمني الكبير، يتكسر عندها ظل هدا الملمح السردي، فلا تدرك الحقبة التي جرت فيها الأحداث إلا بهذه الطريقة، طريقة تعامل الذاكرة مع الزمن، الأمر الذي جعل منها استراتيجية ايديولوجية لتتخذ من تقنيات الايقاع الزمني في النص أدوات إجرائية لتطبيق صارم لبرنامج موجه للرواية لتكثيف دلالات المؤشرات الزمنية. وفي حديثنا عن التحليل الزمني للخطاب السردي في الرواية السعودية شرق المتوسط نضع أيدينا على مفهومي الترتيب والتواتر لأحداث السرد فيها. تم السير الطبيعي للمتواليات السردية، بتسلسل زمني متصاعد نحو النهاية المرسومة، والاستجابة لهذا السير الطبيعي أمر افتراضي، لأنّ المتواليات تتماشى والسير الخطي للأحداث، و بالتالي قد تعود إلى الوراء لاستذكار أحداث سابقة، أو لستقبال أحداث قبل أوان وقوعها فيحاضر الروائي.

إنّ الحركة ذهابا وإيابا على محور السرد والتي يتوقف عندها السرد المتنامي ليفسح المجال لمقاطع الاستذكار والاستباق، تشكل مفارقة سردية Anachronie Narrative حيث " توقف استرسال الحكي المتنامي، و تفسح المجال أمام نوع من الذهاب و الإياب على محور السرد، انطلاقا من النقطة التي

وصلتها القصة"[vi](**حسن بحراوي، 1990، ص 119)** ، و تقضي المفارقة بعدم التطابق بين زمن القصة و زمن السرد، و ينشأ عن الحركة الدائبة على محور السرد مقاطع الاستذكار والاستباق كشكلين أساسيين لحركة تنسيق الأحداث في مسار السرد,

•الاستباق Anticipation:

إمكانية استباق الأحداث في السرد، بحيث يتعرف القارئ على وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة.

•الاسترجاع Rétrospection: ي

نقطع السرد، ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة .

لكل مفارقة زمنية أحدهما مدى المفارقة Portée و آخر اتساع أو سعة المفارقة Amplitude وهما كالتالي:

- **مدى المفارقة:**

هو المسافة الزمنية الفاصلة بين لحظة انقطاع السرد، و بداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة، بعيدة أو قريبة عن لحظة الانقطاع التي تفسح المجال للمفارقة، وتتحدد بين بداية اللحظة المفارِقة في زمن القصة وبدايتها في زمن السرد ، سواء كان استباقا أو استرجاعا (استذكار).

- **اتساع المفارقة:**

المفارقة في حد ذاتها، تغطي مساحة زمنية تطول أو تقصر من خلال المساحة التي تحتلها في فضاء الطباعة، وتقاس بالسطور والفقرات والصفحات

- **حركة تواتر الأحداث :**

ترتبط هذه الحركة بوتيرة الأحداث، و تهتم بسرعتها أو بطئها، أي الإيقاع الزمني بين المقاطع الحكائية، والذي يتسم بمظهرين، " يقضي الأول باستعمال صيغ لاختزال الحكي... و يقضي الثاني الحالة المقابلة لاختزال، أي النظر إلى تبطئ و تعطيل الزمن ".

الناقد البنيوي الفرنسي (جيرار جينات) يتقدم بتقنيات لدراسة الإيقاع الزمني من حيث التسريع و التبطئ هي :

- **الخلاصة Sommaire:**

وتعتمد اختزال وقائع جرت مثلا في سنوات أو أشهر إلى صفحات أو أسطر قليلة، أو حتى كلمات دون التعرض للتفاصيل.

- **الاستراحة Pause:**

وقفات زمنية يقوم بها الراوي للجوئه إلى الوصف، ولا يكون الوصف دائما استراحة و تعطيلا لمسار السرد، و إنما قد يدخل في سيرورة الحدث، فيؤدي وظيفة تأملية تساهم في تغيير مسار الأحداث و تقاعلها.

- **القطع L'ellipse:**

يستعمل الرّاوي عبارات للاختزال مثل: (و مرت سنتان) أو (ومرت مدة طويلة)، و يكون عادة في الرّوايات التقليدية، أما الروايات الحديثة فقد اتصفت بالسرعة بفضل استعمال القطع الضمني "الذي لايصرّح به الراوي، و إنما يدركه القارئ فقط بمقارنة الأحداث بقرائن الحكي نفسه"[vii] **(لحميداني، 1991، ص64)**

- **المشهد Scène:**

وهو المقطع الحواري الذي يأتي في تضاعيف السرد، وهو تقريب اللحظة التي يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة، من حيث مدة الاستغراق، ويصعب وصفه بالسرعة أو بالبطء .

نحاول من خلال هذا التحديد البنائي لحركة السرد، دراسة المفارقات الزمنية، وتحديد مقاطع الاستذكار والاستباق في رواية "شرق المتوسط" لعبد الرحمن منيف، والنظر في اشتغال تقنيات الإقاع الزمني، لتحديد الرؤية الايديولوجية الموجهة للرواية والمتضمنة فيها.

1.2. حركة ترتيب الأحداث في (شرق المتوسط):

عرفتالرواية حركة دائبة على محور السرد، تكسّر فيها التسلسل الخطي للسرد المتنامي، وشكل مفارقة سردية Anachronie Narrative، اتسمت بالكثافة والتسارع، حيث لا نجد علامات وصل بين حركتيها الاستذكار والاستباق، ويبلغ التداخل حدا أقصى، ويعكس الاضطراب واللاتوازن الذي خلقته آفة السجن على رجب وأخته أنيسة ومنه إلى بشر شرق المتوسط.

- **الاستذكار:**

من خلال المفارقات الدرامية التي شهدها السرد، في فضاءات القهر والحرية، التي كانت نقاطا تلتقطها عين رجب في رحلة الذهاب والعودة، فتمتثل صورتها في ذهنه، وتنكأ جرحا يحكي قصة عذاب في زنزانة النظام،

تشكلت المقاطع الاستذكاريةوتعدّدت بتعدّد المفارقات الدرامية، وتكثّفت لتكون السمة الغالبة على السرد، حيث تعكس انكفاء الشخصية على نفسها، وغرقها في زمن الذاكرة، واتسمت هذه الاستذكارات بالدقة المتناهية في التأريخ لزمن الاعتقال والسجن، وما حام حولها من مآسي مثل موت الأم واعتقال حامد، فكان التأريخ بالدقيقة والساعة واليوم والشهر فقط، من دون ذكر للسنة، مما فتح مساحة تأويل تدرك من خلال قرائن الحكي، والمقارنات التي يقيمها رجب، واستذكار مآسي الثورات في باريس، لتتجلى الحقبة التاريخية لزمن الانهزام العربي الحديث، والتردي والقمع، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وما اصطلح عليه بهزيمة حزيران؛ حيث انتشرت السجون وجُنت آلة القمع ضد نداءات الحرية والعدالة، ومن الاستذكارات أيضا نوع من الغوص في زمنية تاريخية، بدايتها استذكار طويل المدى محدّد المدة ممثلة في عمر رجب، " ثلاثون سنة، ثلاثون صيفا وخريفا، ثلاثون ربيعا، أما الشتاء فقد جاء الآن، جاء في الثلاثين" [viii] **(عبد الرحمان منيف، 1999، ص220)**، إنه التأريخ لزمن الموت بعد أن وقع وثيقة الاعتراف، أما نهايتها فاستذكار طويل المدة أيضا ولكنه غير محدّد، وإنما توحي قرائن الحكي بأنه التأريخ لزمن الثورات ضد الاستبداد والظلم، من خلال ما ارتسم في ذاكرة رجب عن المدن الساحلية وتاريخ المقاومة الفرنسية، " باريس المشنق والمقصل والحصاد، باريس المقاومة التي صنعت الحرية"[ix]**(عبد الرحمان منيف، 1999، ص213)**، لتكون دعوة مباشرة ترسلها الرواية إلى الحكام بصوت الفرنسي (فالي) " لماذا لا يقرأ الحكام التاريخ وتاريخ المقاومة الفرنسية" [x]**(عبد الرحمان منيف،1999، ص213)**، باريس المشانق والمقاصل والحصاد، باريس المقاومة هي التي صنعت الحرية، فهذا الاستذكار غير المحدد أو الضمني، يمثل إيديولوجيا النضال، مرّرتها شرق المتوسط بواسطة تقنية الترتيب هذه، والتي هيمنت على مجموع تقنيات الترتيب والإيقاع الزمني.

الغالب على حركة السرد، الاستذكارات قصيرة المدى، محدّدة المدة في أغلبها والموجودة بكثافة عبر كامل مساحة السرد، الناتجة عن المفارقات الدرامية خاصة رحلة الذهاب والعودة، وبشيء من التفصيل وإعادة جمع وترتيب المقاطع السردية، يبدو التأريخ للاعتقالوالسجن، قد تمّ بدقة متناهية، حيث تمثل لحظة التوقيع عند رجب نقطة تحوّل في شخصيته إلى الانحدار والموت، وانطلاق سلسلة من العذابات في حياته الجديدة، بعد خروجة من السجن وفي حياة الأسرة كلها، وتمثل نفس اللحظة عند أنيسة نقطة بداية لمرارة لا نهاية لها، ومن أمثلة ذلك هذه المقاطع السردية التي تؤرخ بدقة لزمن السقوط بتوقيع الوثيقة:

- يوم الأربعاء تشرين الأول، كنت أحزم أغراضي وأغادر السجن. ص 22.
- يوم الثلاثاء 16 تشرين الأول، الساعة السادسة مساء انتهي كل شيء . ص 22.
- أمس في هذا الوقت كنت إنسانا آخر، حتى السادسة كنت قويا، لا قبل السادسة بدقائق، ص 31.

وتمثل المقاطع الاستذكارية التالية بصوت أنيسة، تأريخيا دقيقا ومفصلا لتداعيات موت الأم:

- قبل موتها بعشرة أيام كان يوم خميس، ذهبت مع نساء وأمهات المعتقلين لمقابلة وزير الداخلية. ص68.
- أبقوها حتى اليوم التالي... عادت إلى البيت عصر يوم الجمعة. ص 69.
- وفي اليومين الأخيرين عندما كانت تصحو من الغيبوبة، كانت ترفع يديها إلى السماء. ص 69.
- أما (الطبيب) الثالث فقد وصل بعد أن مات بخمس دقائق. ص 69.

وكما تفاوت مدى الاستذكار بين طول وقصر المدة الزمنية،فإنّ عين القارئ لـ " شرق المتوسط"، لا تتخط المظهر المادي أو السعة التي حضيت بها من عدد الأسطر والصفحات، والتي تعكس الاضطراب النفسي الذي تعيشه الشخصية، جرّاء تأثير السجن كمكان وكهاجس، وعلى الرغم من أنّ الأحداث تمت عبر التداعي والحوارات الداخلية ضمن حيز الذاكرة، فإنّه من الممكن تحديد المساحة التي تتسع لها المقاطع الاستذكارية. على اعتبارات مختلفة ننطلق منها لتحديد حاضر القصة نلخصها في الجدول الآتي :

الفصل	حاضر الرواية	نقطة انفصال السرد	سعة الاستذكار
1	انطلاق السفينة	ص 19	55 صفحة
2	ساعات السفر	ص 72	9 صفحات
		ص 82	10 صفحات
		ص 92	6 صفحات
3	على ظهر السفينة	ص 130	2 صفحات
		ص 133	6 صفحات
		ص 143	6 صفحات
		ص 148	3 صفحات
4	بعد شهرين من السفر	ص 154	7 صفحات
		ص 171	6 صفحات
5	ليلة العودة	ص 197	4 صفحات
6	بعد عام و أربعة أشهر من موت رجب	ص 237	4 صفحات

أدى السرد الاستذكاري في " شرق المتوسط" وظيفة جمالية متميزة، واستطاع أن يؤكد اضطراب الشخصية وغرقها في زمن الذاكرة، الذي لا تطوله إمكانيات الحساب، وبالتالي التأسيس لها، لتكون نمطية للإنسان العربي الذي

يعيش المأساة، ولاكتمال الرواية، تطالعنا تقنية استباق للمتواليات السردية، كاستشراف لأفق عريض، قد تتحقق فيه الحرية المنشودة وتهدم فيه سجون الظن العربي.

- **الاستباق:**

جاء الاستشراف الأحداث كتقنية في " شرق المتوسط"، ليؤدي وظيفة استباق لمتواليات سردية قبل أوان وقوعها، وتمّ وفق نمطين أحدهما استشراف قريب متحقق في السرد، يخلق حالة انتظار تختلف بين طول وقصر المقاطع، وآخر بعيد لا يمثل إلا أحلاما أو توجسات، لا يتحقق الإعلان لها، وإنما يتسع بع أفق التخييل لتكون سلاحا النضال ضد قوى الشر والظلام .

- **الاستشراف القريب :**

على الرغم من أن ّ الأحداث تمت ضمن عمل الذاكرة وداخل إطارها، فإن تقنية الاستباق القريب، أي المتحقق بعد سعة معيتةاوحت بين الطول المفرط والقصر المُخل،معّ ت بوضوح نفسية رجب وأخته أنيسة المضطربة، ومنلهالمقطع السردي التالي الذي يحكي توجّس أنيسة وحيرتها بعد مضايقات النظام للأسرة، " كتبت رسالة قصيرة فكرت أن أرسلها إلى رجب، ويبدو أنه لن يقرأ هذا الرسالة، حتى لو قرأها لن يفهم منها شيئا" [xi] **(عبد الرحمان منيف،1999، ص180)** ، خلق هذا المقطع حالة انتظار شرسة لأن النظام أعطى مهلة محددة لعودة رجب و إلا زُجّ بحامد مكانه، ولم تستطع أنيسة أن تخبر رجبا بذلك، فآثرت كتابة رسالة تريد أن تفي بالغرض من غير مباشرة، وهي الحالة التي يطول الانتظار عندها، فلا تتحقق إلا بعد 45 صفحة من الانتظار، والانتقال من الفصل الرابع إلى الخامس، ليقف القارئ عند رد فعل رجب عند قراءة الرسالة بهذا المقطع، " تلقيت رسالة من أنيسة، لم أرتح لها، قرأتها مرتين" [xii]**(عبد الرحمان منيف،1999، ص225)**. إلى جانب ذلك هناك استباقات لم تطل سعتها لأكثر من أسطر، تضمنها السرد وانتشرت في مواضع كثيرة، منها الحلم بزيارة باريس، " وباريس ألا يجب أن أزورها" [xiii]**(عبد الرحمان منيف،1999، ص215)**، حيث تحقق ذلك مباشرة في الصفحة الموالية، " ولكن باريس التي أراها هل ولدت هكذا" [xiv]**(عبد الرحمان منيف،1999، ص216)**،إنّ المقاطع الاستشرافية القريبة المتحققة على مساحة السرد، والقابلة للإحصاء العددي لعدد الأسطر والصفحات في فضاء الطباعة، وعلى اختلاف طولها وقصرها في تشكيل حالة الانتظار، تعمل في البرنامج المدرج لتقنيات الترتيب، الذي اعتمدته الرواية على التحرك السريع، الذي يعكس التوتر في أفكار ونفسيات الشخصيات من خلال اعتمادها على الذاكرة والحوارات الداخلية.

***الاستشراف البعيد:**

لا يمثل الاستشراف البعيد في الرواية، إلا محاولة التطلع لزمن تتحقق فيه الحرية، وأفعالة غير متحققة على مساحة السرد، وإنما ترسم ظلالا عقيما، " الأخبار؟ انتظر، انتظر، سيطول الانتظار أيها المسافر، ستموت قبل أن تسمع الكلمات التي تنتظرها ... سيظل ذلك النشاط يقذف كل يوم عشرات الجراء، مئات الجراء، وحتى لو

وصلت أعدادهم إلى الآلاف فستظل جراء تعوي في السراديب، أو تموت في المزابل لأنها تريد ذلك" [xv] **(عبد الرحمان منيف، 1999، ص213)** يعكس هذا الاستشر ف البعيد أفق يوتوبي لرجب وأنيسة، وبالتالي ما يمثلانه من فئات اجتماعية في الطن العربي.

2.2 ـ حركة تواتر الأحداث في (شرق المتوسط):

- **تسريع السرد:**

تتصل حركة تسريع السرد في الرواية بعامة بتقنيتي الخلاصة والحذف، كآليتين توضحان علاقةز من القصة بزمن السرد، من حيث أنهما يعملان على اختزال أحداث، أو إجمالها في مقطع صغير من الخطاب السردي،وتتحدّ د سرعة الحكاية بالعلاقة بين " مدة هي مدة القصة مقيسة بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنين، وطول هو طول النص المقيس بالسطور والصفحات" [xvi] **(جيرار جينيت، 2003، ص 102)**، ونحاول تبعا لذلك أن ندرس اشتغال التقنيتين لنقف على مدى تأديتهما لوظيفة تسريع السرد في شرق المتوسط.

***الخلاصة:**

تلخيص لأحداث ماضية أو حاضرة في زمن القصة، إلى وحدة أصغر في زمن الكتابة، بإيجاز يعتمد السرعة والتكثيف في عرضها، ويكون فيها " زمن الخطاب أصغر بكثير من زمن القصة"[xvii] **(حسن بحراوي ،1990، ص 144)**، وتختلف المساحة التي يحتلها في تغطية الأحداث، بحسب أهميتها في صنع الصيرورة الحكائية، واتصالها بالحدث المحوري فيها.

لا تعتمد " شرق المتوسط" على تلخيص الأحداث، واختزال زمنية في زمن القصة، إلا ما كان من أحداث تنأى بصلاتها المباشرة عن السجن، كمكان وكهاجس عند رجب، نجد منها مثلا هذا المقطع، الذي تلخّ ص فيه أنيسة في إحدى زياراتها إلى أصدقاء رجب خارج السجن " باسل جن، أصبح يدور في الشوارع عاريا. خالد فقد عينه نتيجة الضرب، وعينه الأخرى مهددة ... أنور وعبد الكريم يعيشون الآن بحرية" [xviii] **(عبد الرحمان منيف ،1999، ص 44)**عبر ّ هذا المقطع عن تلخيص أحداث جرت أثناء فترة سجن رجب، تمثل المآل السيّ اسي لأصدقائه الصامدين، والحرية التي يعيشها من أمضى وثيقة ترك العمل السياسي، لتضع رجبا بين خيار الاعتراف وبين النهاية المأساوية، وهي خلاصة غير محددة المدة، تمت في مساحة سردية لم تتعد خمسة أسطر، تكاد تتضاءل أمام الاسترسال في الوقفات السردية المتصلة بشخص رجب، خاصة أثناء التعذيب، ويعرض المثال التالي بصوت أنيسة، خلاصة ما صارت إليه هُ دى حبيبة رجب بعد اعتقاله، وصو ّ رت تغيرها ونفاد صبرها، " ومع الأيام تغيرت هدى. تغيرت فعلا هده المرة. لم تعد تبكي، خلقت لنفسها عالما جديدا، وبدأت تصبح جزءا منه"[xix] **(عبد الرحمن منيف ،1999، ص 45)**مع أنّ هذا المقطع لم تتحدّ د فيه المدة الزمنية التي تغيرت فيها هدى، إلا أنه من الواضح أنّه تلخيص لفترة قصيرة بعد الاعتقال، حيث صار لها ولدان بعد خروجه من السجن.

***الحذف:**

يلجأ الراوي للحذف وإسقاط أحداث من زمن القصة، بغرض تسريع وتيرة السرد، فيتخطى القارئ بذلك مدة زمنية قد تطول أو تقصر، ويكون فيها " زمن السرد أصغر، أو منعدم بما لا يقاس من زمن القصة"[xx] **(حسن بحراوي ، 1990، ص 144)**، وهي التقنية التي لم تركز عليها " شرق المتوسط" في بنائها لحركة تواتر السرد، إلاّ ما كان اختزالا لأحداث روتينية، تتكرر دائما في الأفعال العادية، وتنأى عن أفعال التعذيب التييكاد التدقيق في وصفها، يمدّ د زمن السرد إلى زمن القصة في مواضع كثيرة، كما ورد في المقطع التالي، حيث تحاول أنيسة أن تقدّ م خطوات عمليةللضغط على رجب تمهيدا لتوقيع الوثيقة، يمثل حذف محدّ دد المدة، ولا يخلّ بصيرورة الأحداث التي تركز تركيزا تاما على التعذيب في السجون، في الشهور الثلاثة الأخيرة، تغيرّ ت لهجة أنيسة تماما"[xxi] **(عبد الرحمان منيف، 1999، ص45)**.

- **تبطئ السرد:**

في مقابل تقنيات الخلاصة والحذف، حيث يتم اختزال أطوال متباينة الطول والقصر في مساحة سردية صغيرة، يتعرض الزمن السردي إلى وقفات، يتم فيها تعطيله لتتجه الحركة الحكائية إلى تمطيطه، وتمديد حواشيه إلى ما يناسب وضوح رؤية الأحداث، وتدقيق صورة مشاهدها وتأملها، وينجلي ذلك بتطبيق تقنيتي الوقفة الوصفية والمشهد، وهو ما اعتمدت عليه " شرق المتوسط" في أكثر المواضع السردية، لتأدية وظيفة تسليط الضوء أكثر على السجن وتداعياته.

***المشهد:**

يتم فيه مقابلة وحدة من زمن القصة، وحدة مشابهة من زمن الكتابة، حيث يتمكن القارئ من تأمل كلام الشخصيات ومعاينة أسلوبها اللغوي، وبالتالي تتضح صورتها في المشهد، الذي يقوم أساسا " على الحوار المعبرّ عنه لغويا" [xxii] **(حسن بحراوي ، 1990، ص 166)**.

تميزت " شرق المتوسط" بكثرة المشاهد الحوارية وتنوعها، بين الحوار الداخلي الغالب عليها، وحوار الأنسنة الذي خص به رجب السفينة، وهي حوارات لم تصطبغ تقنيا بصبغة الحوار؛ حيث لم يُسمع صوت الطرف الثاني فيها، بالإضافة إلى الحوار الذي يستدعي طرفا أو أطرافامتحاورة، وهو الغالب على الرواية، خاصة الحوار القمعي الذي يتم عموديا بين الجلاد والسجين، وتركز الرواية على المشاهد بأنواعها، إنما يمثل صورة للرسالة التي تطرحها، والتي تعتبر مبدأ الحوار لتكريس الحرية والعدالة، وبالتالي لتجاوز آفة السجن في الوطن العربي.

إنّه في ارتباط تقنية المشهد، على غرار التقنيات الأخرى بالحدث المحوري في " شرق المتوسط" ،فمشهد توقيع وثيقة الاعتراف والسقوط الذي اعتبر نقطة محورية وبؤرة توتر الأحداث، يمثل المشهد الأكثر تعبيرا عن تعطيل الزمن، أو بالأحرى توقفه لأنه يمثل لحظة الموت لرجب، ثم تصويره بتفاصيل متناهية يكاد يسبق فيها الزمن الخطاب زمن القصة، فميزة المشهد الافتتاحي أنه تخلل الرواية كلها، أو اكتملت ملامحه في مساحة السرد كله،

حيث أنه ارتسم في بداية الفصل الأول ص 22-24 بهذه الصورة، " جاءت الموافقة على إطلاق سراحك، وغدا قبل الظهر ستكون حرا. لما التقت نظراتنا قال:

- كان يجب أن تفعل هذا قبل أربع أو خمس سنين، تأخرت كثيرا، دفعت ثمن ذلك من صحتك.
- ظللت صامتا، كنت أحس نفسي عاريا والأغا يطفئ سجائر على جسدي...
- أريد أن أذهل للعلاج.
- سنسمح لك، لكن ما رأيك تبعث لنا بأخبار الطلبة؟ ... قال الأغا وقد آلمته طريقتي في الرفض.

واكتملت صورة المشهد في نهاية الفصل الخامس، الذي ينتهي بنعي رجب لنفسه، أي موته الحقيقي ص 228 بهذه الصورة، قالوا لي: سننتظرك شهرين، يجب أن تعود بعدها، ولا نقبل تقارير طبية أو أية معايير أخرى، نحن نعرف كيف يعطون التقارير الطبية في الخارج"، ويختصر هذا المشهد حياة رجب، أو تختصر حياة رجب في مشهد واحد، وتبقى المشاهد الأخرى صورا متقطعة بصوت رجب وأنيسة لحياة البؤس والشقاء.

إنّ " شرق المتوسط" باستعمالها للمشاهد الحوارية، وبتركيزها على مشهد توقيع الوثيقة، الذي مكان القارئ – من خلال تعطيل زمن القص- م استيعاب أهمية حدث السقوط الناتج عن السجن والتعذيب، وتعاملها مع الزمن من خلال الحدث المحوري، الذي استقطب إليه كل تقنيات تواتر الحركة السردية، يبرهن على التطبيق الصارم للبرنامج الذي اختارته الرو اية، لتعزيز الرؤية الايديولوجية لمحور النضال، ولمحور القمع على حد سواء.

***الوقفة الوصفية:**

في تعامل الرواية مع حركة تبطئ الزمن وتعطيله، يستلزم مسار السرد وقفات وصفية، تتكشف عندها صور الأحداث بتشخيص الأشياء والكائنات، لتكون محطات زمنية توقف أو تبطّئ وتيرته، مقابل تمديد زمن الخطاب غير مسلحة السرد"، مما يترتب عنه خلل في الإيقاع الزمني للسرد، و يحمله على مراوحة مكانه، وانتظار أن يفرغ الوصف من مهمته، لكي يستأنف السرد مساره المعتاد" [xxiii]**(حسن بحراوي ، 1990، ص 166)** . وفي سياق ترتيب وتشكيل وتفعيل آليات التعامل مع الزمن، وإحداث هزات في المسار المتنامي للسرد في " شرق المتوسط"، جاءت الوقفات الوصفية كنقاط إضاءة، منتشرة عبر مساحة النص، لهدف أساسي حمل هذه التقنية على أداء وظيفة واحدة، هي رسم وتدقيق كل خفايا السجن كمكان، وتأمل تداعياته النفسية كهاجس، بغرض فضحه والسعي إلى تحطيمه، ومحوه من على خارطة الوطن العربي، وحيث جاءت الوقفات الوصفية متداخلة مع السرد، لم يكن فصلها بسهولة، فقد شاركت معه في صنع صيرورة الأحداث لخدمة هذا الغرض. ولتوضيح ذلك نقوم بقارنة ثلاث وقفات وردت تباعا، تصف الأولى غرفة رجب بعد خروجه من السجن مباشرة فقد جاء المقطع الأول من شرق المتوسط ص 26 " أنزلت الستارة وابتسمت وهي تغادر الغرفة... الفراش لامع نظيف... نظرت إلى الجدران... صعدت فوق المقعد ونظرت طويلا إلى الصورة ... ذهبت إلى المرآة... رجعت لأنام كانت رائحة الفراش لذيذة أول الأمر" ا.لمقعد ونظرت طويلا إلى الصورة... ذهبت إلى المرآة... رجعت لأنام كانت

رائحة الفراش لذيذة أول الأمر"إنّ وصف الغرفة تمّ من الداخل؛ أي من مسافة رؤية قريبة انتقل رجب فيها تحت ضوء خافت على أطراف أصابعه انتقال الوجل الخائف، وهي ذات الوضعية التي وُصف بها القبو، حيث ينحدر إليه ضوء باهت ورد في الرواية ص 123 " النافذة الصغيرة التي تشبه شقا، كانت تستقبل ضوءا باهتا

ينزلق إليه من أرض الحوش... شتمت قلت بأعلى صوتي:أيّها الأنذال، انفتح باب القبو، كان الضوء في الخارج زاهيا فواحا، وكان طلاء الجداء الموجه له صفرة لذيذة" إنّ اشتراك الغرفتين في خفوت الضوء، واشتراك الوصف في رسم ملامح الغرفة/ الزنزانة، لم يخل من رسم ملامح وزايا هذا المكان/الهاجس، الذي شكل فضاء حقيقيا يتصرف فيه رجب تصرف الخائف المترقب المنطوي، وهو دليل – وظفته الرواية من خلال الوقفات الوصفية – على حالة اليأس التي وصل إليها رجب، وبالتالي السجين السياسي والتي يفقد فيها إحساسه بالحياة، فيصبح الموت طود النجاة من حالة الرعب التي تنتقل معه أينما رحل، جرّاء ارتسام صورة الزنزانة في كل غرفة يطأها، حتى في فضاء الغرب، أين ظن أن الحرية تفتح ذراعيها لاحتضانه فقد كانت الغرفة في الفندق أشبه بالزنزانة؛ لأنّ حالة الوجل والترقب كانت تخترقه، جاء في الرواية ص 220 " ها أنا ذا في غرفة فندق الألزاس رقم 37، أذرع الأرض أنظر من النافذة، أميل برأسي قليلا لكي أسمع وقع الخطوات في الدهليز. ولا أجد شيئا يمكن أن أقوله ماذا لو شنقت نفسي في سقف الغرفة إلى جانب حبل النور المتدلي حلقة يمكن أن أمزق ثيابي، أصنع منها حبلا . فمن خلال هذه المقارنة التي تدل على ترابط الوقفات الوصفية، لتأدية وظيفة إيضاح الحدث الرئيس، حيث لا تعرف استقلالية وظيفية، إلا ماكان من تفاضل بينها من الناحية الجمالية/ يتاح للقارئ " شرق المتوسط" الوقوف مليا، لتأمل الحدود المترامية لهاجس السجن، الذي تتمحور حوله كل تقنيات تبطيئ وتسريع السرد.

3- الخلاصة:

تمثّل رواية " شرق المتوسط" لوحة فنية تعرض صورة الموت، برسم ظلال تجريدية للسجن، كحالة تخترق المكان والزمان لتؤجج زوايا الذاكرة ، وتختزل ملامح الحياة في نقطة سوداء، تحمل دلالات الموت وعلاماته الكثيرة، وقد اعتبرنا تمفصلات التشكيل الزمني وتقنياته، العاملة في خطية زمن الخطاب المفارق لزمن القص أدوات رسم اللوحة، فتوصلنا إلى أنه لكل منها وظيفة تحمل خاصية الاستقلالية الوظيفية من جهة، وتعمل في النسق العام لتشكيل دلالة الرؤية الإيديولوجية للرواية من جهة أخرى.

إنّه بواسطة اشتغال كل تقنيات تواتر وترتيب المتواليات السردية، ضمن برنامج موجّه يمثل نسق أفكار ظاهرة مباشرة، أو متخفية خلف بنية الشكل الروائي، تعاملت " شرق المتوسط" مع الزمن، ففرضت عليه طريقة يتماشى فيها مع الرؤية الأيديولوجية المتضمنة لها، ولتشكل في الآن نفسه إيديولوجية الرواية ضمن نسق الروايات السياسية المعالجة لحادث السجن السياسي .

لقد اشتغلت المؤشرات الومنية الظاهرة على مستوى البنية السطحية، أو بايحاءات قرائن الحكي على إبراز دلالات الزمن الاجتماعي والزمن التاريخي التي استدعته الرواية بطرحها لقضايا تصور انهزامية الإنسان العربي في العصر الحديث.

4- الإحالات و قائمة المراجع :

*المؤلف المرسل

(i). سيزا، قاسم.1984. بناء الرواية دط. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ii) هلال، غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3، 1964.

iii) ولعة، صالح، إشكالية الزمن الروائي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، عدد 375، 2002,

(iv). حسن، بحراوي.1990. بنية الشكل الروائي ط1. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

(v). عبد الرحمان، منيف.1999،شرق المتوسط ط12.بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

vi - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص119.

vii) لحميداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت الدار البيضاء، ط3، 2000.

(viii). منيف.مصدر نفسه.

(ix). منيف.مصدر نفسه.

(x). منيف.مصدر نفسه.

(xi). منيف.مصدر نفسه.

(xii). منيف.مصدر نفسه.

(xiii). منيف.مصدر نفسه.

(xiv).منيف.مصدر نفسه.

(xv). منيف.مصدر نفسه.

(xvi). جيرار، جينيت. 2003، خطاب الحكاية ط3 (ترجمة محمد، معتصم و عبد الجليل، الأزدي و عمر، الحلي). الجزائر: منشورات الاختلاف .

(xvii). بحراوي. مرجع سابق.

(xviii). منيف. مصدر سابق.

(xix). منيف.مصدر نفسه.

(xx). بحراوي. مرجع سابق.

(xxi). منيف.مصدر نفسه.

(xxii). بحراوي ،مرجع سابق.

(xxiii). بحراوي. مرجع نفسه.